الأنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري

الدكتور فاضل السامرائي
قسم اللغة العربية

تصنيفه ـ مسائله ـ طريقته

تصنيفه :

ان كتاب (الانصاف) أقدم كتاب وصلنا في الفصل بين البصريين والكوفيين في المسائل الخلافية • وهو كتاب ممتع جليل ذكر مؤلفه سبب تأليفه له فقال في مقدمة هذا الكتاب : « وبعد فان جماعة من الفقهاء المتأدبين ، والادباء المتفقهين المشتغلين عليّ بعلم العربية بالمدرسة النظامية ـ عمر الله مبانيها ورحم الله بانيها ـ سألوني ان الخص لهم كتابا لطيفا يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ليكون اول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب والف على هذا الاسلوب لانه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا الف عليه احد من الخلف ، فتوخيت اجابتهم على وفق مسألتهم • »(١)

ان هذه المقدمة تشمل ثلاث نقاط رئيسة هي :

١ ـ ان كتاب (الانصاف) لا يشمل جميع المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين وانما يشمل مشاهيرها كما ذكر • فهناك مسائل خلافية كثيرة نحوية ولغوية لم يتطرق اليها المؤلف ، كما سنذكر ذاك •

---

(١) مقدمة الانصاف ص ٣

٢ ـ ان هذا الكتاب الف على ترتيب المسائل الخلافية فى الفقه • وقد كان الامام ابو سعيد محمد بن يحيى النيسابورى الشافعى المتوفى سنة ٥٤٨ هـ الف كتابا أسماه (الانصاف فى مسائل الخلاف)[٢] •

٣ ـ ذكر أن هذا اول كتاب صنف فى علم العربية على هذا الترتيب والف على هذا الاسلوب لانه ترتيب لم يصنف عليه أحد من السلف ولا ألّف عليه أحد من الخلف •

وقد ذكرت لنا كتب التراجم أن ابا جعفر النحاس المصرى أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادى المتوفى سنة ٣٣٨ هـ الف كتابا فى هذا الشأن اسمه (المقنع فى اختلاف البصريين والكوفيين)[٣] •

ولعل ابن الانبارى لم يطلع عليه ، فيكون ابن النحاس قد سبقه فى هذا الشأن الا ان هذا الكتاب لم يصلنا ولعله مفقود أو لا يزال فى ظلمات احدى الخزائن ينتظر النور •

وقد الف الامام النحوى ابو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ هـ كتابا باسم (الانصاف بذكر اسباب الخلاف) ومنه نسخة مخطوطة بمكتبه الاوقاف ببغداد برقم ٦٠١٨ الا انه لم يكن فى الموضوع نفسه فهو لم يؤلف لبيان الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة ، وانما هو كما اشار المؤلف فى مقدمة الكتاب قال • « وانى لما رأيت الناس قد اطنبوا فى التأليف وأمالوا الناظرين بأنواع التصنيف فى اساليب معروفة واشياء مألوفة يغني بعضها عن بعض صرفت خاطرى الى وضع كتاب فى اسباب الخلاف الواقع بين الامة قليل النظير ، نافع للجمهور ، عجيب

---

(٢) كشف الظنون ١/١٨٢

(٣) انباه الرواة ١/١٠٣ ، بغية الوعاة تحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم ١/٣٦٢ ، هدية العارفين ١/٦١ ، كشف الظنون ٢/١٨٠٩ •

المنزع ، غريب المقتطع يشبه المخترع وان كان غير مخترع ، ينتمى الى الدين بأدنى نسب ويتعلق من اللسان العربي بأقوى سبب ويمزج تأمل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقهية مفتقرة الى علم الادب مؤسسة على اصول كلام العرب . »[٤] ثم يذكر ان الخلاف عرض لاهل الملة من ثمانية اوجه هى : اشتراك اللفظ والمعانى ، الحقيقة والمجاز ، الافراد والتركيب ، الخصوص والعموم ، الرواية والنقل ، الاجتها فيما لا نص فيه ، الناسخ والمنسوخ ، والاباحة والتوسيع[٥] .

فليس هذا الكتاب اذن فى هذا الشأن .

وعلى هذا فكتاب الانصاف لابن الانبارى هو أقدم كتاب وصلنا فى هذا الشأن وان لم يكن اول كتاب الف فيه .

مسائله :

عرض ابن الانبارى ١٢١ مسألة خلافية فى النحو واللغة ، المسألة الاولى (الاختلاف فى اصل اشتقاق الاسم) والاخيرة (القول فى رب اسم هو أم حرف) .

وهناك مسائل خلافية كثيرة فى النحو واللغة لم يعرض لها . ومن ذلك على سبيل المثال :

١ - اجازة أعمال المصدر مضمرا عند الكوفيين نحو ضربي زيدا حسن وهو عمرا قبيح ومنع ذلك البصريون[٦] .

٢ - منع الكوفيون اعمال المصدر المنون وحملوا ما بعده من مرفوع ومنصوب على اضمار فعل واجازه البصريون[٧] .

---

(٤) الانصاف بذكر اسباب الخلاف الورقة اب
(٥) الانصاف بذكر اسباب الخلاف الورقة ١ ، ٢
(٦) التصريح على التوضيح ٢/٦٢
(٧) التصريح على التوضيح ٢/٦٣

٣ ـ أجاز الكوفيون الاتباع على محل المجرور باضافة المصدر ومنعه البصريون[٨] .

٤ ـ منع الكوفيون اعمال امثلة المبالغة واجازه البصريون[٩] .

٥ ـ أجاز الكوفيون الاتباع على محل المجرور باضافة اسم الفاعل ومنعه البصريون[١٠] .

٦ ـ أجاز الكوفيون ان يرد عطف البيان نكرة مخصصة ومنعه البصريون[١١] .

٧ ـ أجاز الكوفيون ابدال الاسم الظاهر من ضمير الحاضر بدل كل من كل مطلقاً ولم يجز البصريون ذلك اذا كان بدل كل من كل الا اذا اقتضى الاحاطة والشمول[١٢] .

٨ ـ ذهب جمهور البصريين ان المصدر في نحو : طلع زيد بغتة حال مؤولة بمشتق اى باغتا ، وذهب الكوفيون الى انه منصوب على المصدرية بالفعل المذكور بتأويله بفعل من لفظ المصدر[١٣] .

٩ ـ أن وما بعدها بعد (لو) نحو : « ولو انهم صبروا » على تقدير (ثبت) عند الكوفيين وللبصريين فيها رأي آخر[١٤] .

١٠ ـ يعلق الكوفيون (الباء) في البسملة بمحذوف تقديره أتلو

---

(٨) التصريح ٢/ ٦٤ـ٦٥

(٩) التصريح ٢/٦٨

(١٠) التصريح ٢/٧٠

(١١) التصريح ٢/١٣١

(١٢) التصريح ٢/١٦١

(١٣) ابن عقيل ١/٦٣٢

(١٤) التصريح ٢/٢٥٦ ، همع الهوامع ١/١٣٨

وأقرأ ، والبصريون يقدرون : ابتدائى باسم الله[١٥] .

١١ ـ أجاز الكوفيون اعراب (كل) على التوكيد اذا قطع عن الاضافة لفظا نحو قوله (انا كلا فيها) لان تنوينه تنوين عوض ومنعه البصريون لعدم الاضافة لفظا[١٦] .

١٢ ـ تكون الالف واللام عوضا عن الاضافة فى نحو (واشتعل الرأس شيبا) عند الكوفيين ومنعه البصريون[١٧] .

١٣ ـ اسماء الافعال اسماء عند البصريين افعال عند الكوفيين[١٨] .

١٤ ـ المضاعف الثلاثي أصل للمضاعف الرباعي عند الكوفيين نحو قش وقشقش وحث وحثحث وليس الامر كذلك عند البصريين[١٩] .

١٥ ـ اجاز الكوفيون اذا اضيف العدد الى المعدود تعريفهما معا نحو الخمسة الرجال ومنعه البصريون[٢٠] .

١٦ ـ (هلم) مركبة من حرف التنبيه مع (لم) محذوفة من (ها) الفها عند البصريين ، وعند الكوفيين هى مركبة من (هل) مع (ام) محذوفة همزتها[٢١] .

١٧ ـ الفاعل يتأخر عن الفعل واجاز الكوفيون تقدمه عليه[٢٢] .

١٨ ـ اذا اجتمع الاسم واللقب وكانا مفردين وجبت الاضافة عند

---

(١٥) مغنى اللبيب ٢/٣٧٨ ـ ٣٧٩
(١٦) مغنى اللبيب ١/١٩٤ ، ٢/٥١٠
(١٧) البحر المحيط ١/١١٣
(١٨) الاشمونى ٣/١٩٥
(١٩) الفائق ١/٩٢
(٢٠) المفصل ١/٢٤٤ ، الاشمونى ١/١٨٧
(٢١) المفصل ٢/٤٥
(٢٢) ابن عقيل ١/٣٩٤ ، الاشمونى ٢/٤٦

البصريين ، وعند الكوفيين يجوز القطع والاتباع أيضا[٢٣] .

١٩ ـ الموصوف عند البصريين أخص من الصفة أو مساوٍ لها ولذلك امتنع وصف المعرف باللام بالمبهم[٢٤] .

٢٠ ـ الفعل الواقع بعد (إن) المكسورة المخففة يجب ان يكون من الافعال الداخلة على المبتدأ والخبر وجوز الكوفيون غيره[٢٥] .

٢١ ـ الاعراب اصل فى الاسماء فرع فى الافعال عند البصريين ، وعند الكوفيين اصل فيهما[٢٦] .

٢٢ ـ لا يجوز حذف نون التثنية لغير الاضافة عند البصريين وجوزه الكوفيون[٢٧] .

الى غير ذلك من المسائل الخلافية التى لم يعرض لها فى كتابه (الانصاف) .

ان ابا البركات أيد الكوفيين فى سبع من المسائل التى عرض لها فى كتابه (الانصاف) واجتهد فى مسألتين وايد البصريين فى المسائل الباقية .

أما المسائل التى ايد فيها الكوفيين فهى :

١ ـ ان (لولا) هى ترفع الاسم بعدها ولا يرتفع الاسم بعدها بالابتداء وهى المسألة العاشرة .

٢ ـ لا يجوز تقديم خبر ليس عليها وقد أجازه البصريون وهى المسألة الثامنة عشرة .

---

(٢٣) الاشمونى ١/١٣٠
(٢٤) ابن يعيش ٣/٥٨ ، الاشمونى ٣/٦١
(٢٥) المفصل ٢/١٩٠
(٢٦) الاشباه والنظائر ٢/١٥٢
(٢٧) الاشباه والنظائر ٢/١٥٢

٣ ـ اللام الاولى من (لعل) اصلية وليست زائدة كما يقول البصريون وهى المسألة السادسة والعشرون •

٤ ـ يجوز ترك صرف ما ينصرف فى الشعر لا كما يذهب البصريون الى عدم جواز ذلك وهى المسألة السبعون •

٥ ـ ان الياء والكاف فى لولاى ولولاك فى موضع رفع لا كما يذهب البصريون الى انهما فى موضع جر وهى المسألة السابعة والتسعون •

٦ ـ الاسم المبهم نحو هذا وذاك اعرف من اسم العلم لا كما يذهب البصريون الى العكس وهى الواحدة بعد المائة •

٧ ـ يجوز ان يقال فى الوقف رأيت البكَره بفتح الكاف فى حالة النصب لا كما يذهب البصريون الى المنع وهى المسألة السادسة بعد المائة •

وأما المسألتان اللتان اجتهد فيهما فهما :

١ ـ المسألة الخامسة وهى مسألة رافع المبتدأ والخبر ، فقد ذهب في رفع الخبر الى انه يرتفع بالابتداء بواسطة المبتدأ • قال « والتحقيق فيه عندى ان يقال : ان الابتداء هو العامل فى الخبر بواسطة المبتدأ » •

٢ ـ المسألة الرابعة والثمانون وهى مسألة العامل فى جواب الشرط فقد ذهب الى ان العامل فيه هو (إنْ) بواسطة فعل الشرط • قال : « والتحقيق فيه عندى ان يقال : ان (إنْ) هو العامل فى جواب الشرط بواسطة فعل الشرط » •

وهناك مسألة حصل فيها خلط وهي المسألة (١٠٨) فقد ذكر أن الكوفيين ذهبوا الى انه لا يجوز نقل حركة همزة الوصل الى الساكن قبلها وذهب البصريون الى انه يجوز • ثم جاء بأدلة تثبت ان الكوفيين هم الذين يقولون بالجواز والبصريين يقولون بالمنع ولعله من النساخ •

ان المسائل التى عرضها فى (الانصاف) منها ما يرجع الى اصل

الكلمة واشتقاقها كالاختلاف فى أصل أشتقاق الاسم ، وهل السين مقتطعة من سوف أو أصل برأسه ، التاء المحذوفة من المضارع المبدوء بها ، الحروف التى وضع عليها الاسم فى ذا أو الذى • ايمن فى القسم ، وزن « انسان » واصل اشتقاقه •

ومنها ما يرجع الى طبيعة الكلمة فى كونها اسما او فعلا او حرفا كالخلاف فى نعم وبئس ، وافعل التعجب ، وحاشا الاستثنائية أو رب •

ومنها ما يعود الى صحة مجيء كلمة بمعنى كلمة اخرى نحو هل تكون (إلا) بمعنى الواو ؟ وهل تأتى (أو) بمعنى الواو وبمعنى بل ؟ و (كما) بمعنى (كيما) ؟ و (إنْ) الشرطية بمعنى (اذ) التعليلية ؟

ومنها مسائل فى العامل والعمل كعامل الرفع فى المبتدأ أو الخبر ، والعامل فى الاسم المرفوع بعد الظرف والجار والمجرور ، والعامل فى الاسم المرفوع بعد لولا ، والعامل فى المفعول به النصب ، وعامل النصب فى الظرف الواقع خبرا ، وعامل النصب فى المفعول معه وغيرها •

ومنها ما يعود الى الجواز وعدمه كجواز جمع ما فى آخره تاء التأنيث جمع مذكر سالما ، وجواز تقديم خبر المبتدأ عليه ، وجواز العطف على موضع اسم (إنّ) قبل استكمال الخبر ، وجواز دخول لام الابتداء على خبر (لكنّ) ، وجواز وقوع الفعل الفعل الماضى حالا ، والعطف على الضمير المخفوض •

ومنها ما يعود الى الاعراب والبناء كالقول فى المنادى المفرد أمعرب هو أم مبنى ؟ والقول فى اسم (لا) النافية للجنس المفرد ، والقول فى فعل الامر ، والقول فى الاسماء الستة أهي معربة من مكان واحد او مكانين ؟ والالف والواو والياء فى التثنية وجمع المذكر السالم أهي اعراب أم علامات اعراب ؟ واعراب الاسم الواقع بعد مذ ومنذ ، وضمير الفصل : اسمه وهل له موضع من الاعراب ؟

ومنها ما يعود الى العلل كالعلة فى بناء الآن ، وعلة اعراب الفعل المضارع ، وعلة ارتفاع الفعل المضارع ، وعلة حذف الواو من (يعد) ونحوه ، وعلة منع (اشياء) من الصرف .

ومنها ما يعود الى الاوزان كوزن الخماسى المكرر ثانيه وثالثه ، ووزن سيد وميت ونحوهما ، ووزن خطايا ، ووزن انسان .

الى غير ذلك من المسائل الخلافية .

طريقته :

أن طريقة ابن الانبارى فى كتاب (الانصاف) هى انه يبدأ بذكر رأى الكوفيين ثم رأى البصريين ثم يعرض حجج كل منهما ثم يرد على الفريق الذى لا يرى أن الحق بجانبه ، وهذا الفريق فى الغالب هم الكوفيون الذين لم يوافقهم الا فى سبع مسائل من مجموع احدى وعشرين ومائة مسألة .